صحيفة المرأة المسلمة

العدد : ٢١٨ الموافق في ذو الحجة ١٤٢٠ هجري ٤ / ٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : برد النوائب	بقلم : هدى الأندونيسية

أجمع أوراقي مسرعة فقد قُرعت أجراس الرحيل ، أتلفَّتُ حولي متأملة أركان بيتي حتى تنطبع في ذاكرتي كل زاوية فيه . ويعلو صراخ أمي : إنهم قادمون .

تتعثر قدماي بحجارة البيت كأنها تقول : لي لا ترحلي ! . وتمتد يدي لتقطف زهرة من حديقتي المتواضعة فأدسها بين صفحات كتابي علَّ عبقها يحفف من وطأة الرحيل . وتمتد عيناي متأملة زرقة السماء التي شوهتها غربان سود جاءت حاملة معها الخراب . فأشد ملابسي على جسدي أحميه من برد النوائب .

بعد عناء طويل ، وليالٍ متعبة في حافلة قديمة تقف أكثر مما تسير ، أصل إلى طابور طويل من البشر ، الكل ينتظر . وعندما يحين دوري إذا بهم يقولون : " عودي .. لا نريد مزيداً من الغرباء .. " وهل كنت من اختار الرحيل .. فأعود مسرعة عبر الجبال أبحث عن طريق آخر ، وصراخ الأطفال يهز مشاعري .. وينخلع قلبي عندما يصمتون .. لقد انتهت رحلتهم في الحياة .. ؟!

أما رحلتي فما زالت في بدايتها .. ووصلت .. وصلت البيت الجديد .. خيام منصوبة بعشوائية ، أكوام من البشر تتراقص حولها أكوام القمامة ، وسيارات فارهة تقذف في الوجوه معلبات براقة تحمل في طياتها الذل .. ورغم ذلك تتسابق إليها الأيدي لتفقد معها آخر ما تبقى لها من كرامة .

لا أريد الرحيل فهنا أرضي .

آسف لا خيار لدينا ستركبين الطائرة إلى منزل جديد ومستقبل مشرق .

ولكنني أريد أن أعود إلى وطني .

- لا تخافي ستعودين ، فالعالم كله في أيدينا .

- ولماذا شردونا إن كان العالم في أيديكم .

- خطأ تكتيكي وسيتم تصحيحه .

يا للسخرية !! .. أعود .. وإن عدت فمن سيمحو من ذاكرتي كل هذه الآلام .. من سيعيد إلي بيتي وأماني .. من سيعيد لي ثقتي بالعدل .. بالسلام .. بالتسامح .. بكل ما هو جميل وإنساني ..

هل صدفة أخرجوني .. ؟! هل صدفة شردوني .. ؟! هل صدفة ألقوا بي في متاهة الغربة لأتوه مع آلاف التائهين في هذا العالم الذي لا يرحم الضعفاء ..

أسألهم .. أين إخوتي ؟ قالوا : هم كثر يسدون عين الشمس .. قلت : لا أراهم .. قالوا : أرسلوا لك طعاماً وغطاءً . قلت : أريدهم حولي .. قالوا : تكفيهم مشاكلهم .. قلت : وأنا .. قالوا : ومن أنت ؟ قلت : ألست بضعة من هذا الجسد .. قالوا : جسد مثخن بالجراح .. قلت : سيتعافى .. قالوا : سيموت .. قلت : ما دمت في الحياة فلن يموت ..

لن أرضى أن أكون ملهاتكم التي تعبثون بها .. ولن أدعكم تحددون لي وطناً فأنا أمتلك وطناً .. لن أدعكم ترسمون هويتي فجذوري عريقة ضاربة في الأرض .. لن أدعكم تخططون لمستقبلي فما زلت قادرة على المقاومة .. لن أدعكم تغتالون إنسانيتي فما زال في قلبي رمق حياة ....